﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[آل عمران: ٣١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

الاتباع: هو أحد شرطي قبول العمل، فهو الشرط الثاني بعد الإخلاص، فالأعمال لا تقبل عند الله تعالى إلا إذا توفر لها شرطان أساسيان هما: الإخلاص فيها لله رب العالمين، واتباع الرسول ﷺ فيما شرع.

هذان أصلان مستقران في الشريعة، والأدلة متضافرة على صحتهما.

وقد فصلنا الكلام فيما قبل في الشرط الأول، وهو الإخلاص وبقي تفصيل الكلام في الشرط الثاني وهو الاتباع.

***حاجة الأمة إلى معرفة هذا الأصل وتعلمه:**

ومما يدل على عظم الحاجة إلى تعلم هذا الأصل أن أكثر المسلمين المتدينين اليوم صاروا يهونون من شأن هذا الأصل، ويقللون من أهميته وضرورته.

والدليل على ذلك أنك ترى أكثر المتدينين قد يعبدون الله تعالى بجهل، فيأتون بكثير من البدع في عبادتهم لله تعالى، فمنهم من يصلي صلاة غير صحيحة أو يأتي في عبادته ببعض البدع التي لا أصل لها في الدين مثل الالتزام بما لم يلتزمه النبي ﷺ من العبادات المبتدعة من قبل مشايخهم ورؤسائهم، ثم إذا نصحت أحدهم قال لك: المهم هو القلب، المهم هو الإخلاص والنية وليس العمل.

وقد ذكر أمثال هؤلاء عند بعض السلف فقالوا: إن قومًا تركوا اتباع النبي

ﷺ وزعموا حسن نيتهم، وصلاح قلوبهم، وكذبوا لو أحسنوا النية لأحسنوا العمل.

وهذا صحيح لاشك فيه فالدليل الوحيد على حسن نيتك ومحبتك لله تعالى وإخلاصك له هو اتباع رسوله ﷺ واتباع المنهج الذي أنزله الله على رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وقال الحسن البصري-رحمه الله- في هذه الآية: "إن قومًا ادعوا محبة الله تعالى فابتلاهم الله بهذه الآية" فمن كان يحب الله تعالى حقًّا، وهو حسن النية مخلصًا في محبته واتباعه فليتبع رسوله محمدًا ﷺ الذي جاء بالهدى ودين الحق.

لقد فرط الناس في زماننا هذا في هذا الأصل تفريطًا عجيبًا، وصرنا نرى العجب في ذلك.

فالناس إزاء هذا الأصل صنفان:

الصِّنف الأول: تركَ اتباع الرسول ﷺ بالكلية، وأعرض عن الدين إعراضًا تامًّا، رغم أنه لا يزال يزعم أنه مسلم، وهذا الصنف تتناقض أقواله مع أفعاله، فتراه منغمسًا إلى أذنيه في الذنوب والمعاصي، معرضًا تمام الإعراض عن الدين، ثم يزعم بعد ذلك أن بينه وبين الله عمارًا وصلاحًا.

وهؤلاء يلبسون على الناس ليبرروا ما هم فيه من التناقض الواضح، حتى لقد سمعنا أن بعض الراقصات العاهرات تتكلم في الدين وتذم الفنانات التائبات والمتحجبات عمومًا، وتقول: ليس الدين في الحجاب، وليس الدين في المظهر، إنما الدين في القلب، ثم تفلسف قضية الحجاب لتلغي الالتزام الظاهر به، فتقول: وليس الحجاب في هذا المظهر الخارجي، إنما الحجاب في القلب!!

---

(١) آل عمران: ٣١.

وصدقت والله، فإن الحجاب الحقيقي هو حجاب القلب فمن حجب الله تعالى قلبه عن الهدى فلن يستطيع أحد أن يهديه أبدًا.

من غرق في المعاصي والشهوات وأعجبه ما هو فيه من الفجور والملذات طبع على قلبه، وصار على قلبه حجاب كثيف من المعاصي والشهوات يحول بينه وبين الاهتداء إلى الحق ورؤية النور.

فلا تنخدعي أيتها الأخت المسلمة بتلك الشعارات الزائفة التي يرسلها هؤلاء الغارقون في بحار الشهوات لكي يخدعوا الناس عما هم فيه من الرذيلة.

ولقد لعبت وسائل الإعلام دورًا كبيرًا في جعل الناس يتعاطفون مع الراقصات والعاهرات والزانيات بتصويرهن ضحايا المجتمع وأنهن في الحقيقة أصحاب قلوب عطوفة رحيمة فتصور لنا الأفلام العربية أن تلك الراقصات لم تلجأ إلى العهر والفجور إلا لمداواة أمها المريضة، أو لمعالجة طفلتها من العمى، أو لإنقاذ حياة أبيها... أو... أو... إلخ.

وكذلك هذا السارق وهذا القاتل لم يسرق ولم يقتل إلا لهدف إنساني نبيل.

ولكن الإسلام لا يعرف تلك القاعدة الميكافيلية القائلة بأن: (الغاية تبرر الوسيلة) وإنما يقرر الإسلام أن الغايات النبيلة تتخذ لأجلها الوسائل النبيلة الشريفة. وإلا لغرق المجتمع كله في بحار الرذيلة، وهو يزعم أنه إنما يريد الفضيلة والطهر والعفاف، إن هذا يبرئ الإسلام أصحابه وأتباعه منه حيثما يشترط هذين الشرطين الأساسين، وهما: صلاح النية، وصلاح العمل.

فالنية الصالحة ليست مبررًا للعمل الفاسد، بل لابد لصاحبها أن يسلك السبل الشرعية لتحقيقها، والسبل الشرعية هي سبيل واحد، هو: اتباع الشرع الحنيف.. اتباع ما جاء به الرسول ﷺ.

ضيع الناس هذا الأصل، فصرت ترى الرجل يتعامل بالربا، ويأكل الرشوة، ويزعم أنه حسن النية، وترى الرجل يسرق ويزعم أنه حسن النية، بل ترى الرجل

يقتل ويزعم أنه حسن النية، وترى الرجل لا يركع ولا يسجد ولا يعرف طريق المسجد ويزعم أن بينه وبين الله عمارًا وصلاحًا.

وترى الفتاة تخرج من بيتها سافرة عارية متبرجة متعطرة، وتزعم أن قلبها طاهر وأنها تتقي الله تعالى، وتصاحب صديقًا لها وتخالطه وتخلو به، وتزعم أن نيتها سليمة وأنها تتقي الله تعالى.

وهكذا ضيع الناس هذا الأصل، فضيعوا الدين بينهم.

الصنف الثاني: هم المتدينون الذين يزعمون أنهم يقيمون الدين، وأن بينهم وبين الله تعالى علاقة حقيقية قائمة على العبادة والذكر، فالحق أن أكثر هؤلاء من الصوفية الدراويش وأتباعهم ممن لا يلتزمون في الغالب بسنة النبي ﷺ وبالضوابط الشرعية، بقدر ما يطيعون مشايخهم ورؤساءهم.

فهم يأتون بكثير من البدع والخرافات والدجل والشعوذة كالتمسح بالأضرحة والطواف حولها والإقامة بأماكن قبور الأولياء وإقامة الموالد بها، والإقامة في تلك الساحات أيامًا تشبهًا بالحجيج، ويفعلون ما يفعله الحجاج من الطواف والسعي والذبح والنذر والحلق والتقصير، فضلاً عن التضرع لهؤلاء المشايخ والأولياء ودعائهم من دون الله تعالى والاستغاثة بهم؛ فهذا يطلب منهم الشفاء، وهذا يطلب النجاح، وهذا يطلب الزواج من فلانة، وهذه تطلب عروسًا، وهذه تطلب من السادة الأولياء أن يردوا إليها زوجها، وأن يطلقوه من زوجته الأخرى، وهذه تطلب منهم أن يهبوا لها حملاً، أو شفاءً أو مالاً.. أو.. أو.. إلى آخر ما عليه الناس من الجهل والضلالات.

وسبب ذلك كله هو عدم اتباع ما عليه الرسول ﷺ والإعراض عن الدين، واتباع ما عليه المشايخ وأهل الطرق في باطلهم دون تمحيص وبحث وسؤال عن الدين الصحيح ثم ترى أكثر هؤلاء يصلي صلاة غير صحيحة فلا يحسن الوضوء والطهور، ولا يحسن الركوع ولا السجود، ولا يحفظ الأذكار الصحيحة، وكثير منهم من لا يحفظ فاتحة الكتاب، أو لا يصحح نطقها.

فإذا نصحت أحدهم فقلت له: نهى رسول الله ﷺ أن تنقر الصلاة كنقر الديكة، أو أن تلتفت فيها التفات الثعلب، أو أن تبرك فيها بروك البعير، أو أن تقعي فيه إقعاء الكلب، وإذا أخذت عليه مثلاً أنه لا يقيم صلبه بعد الركوع ولا يعتدل من قيامه كما ينبغي، أو لا يقيم صلبه بعد السجود ولا يعتدل كما ينبغي أو أنه لا يخشع في ركوعه أو سجوده، أو غير ذلك.. فإذا به يصيح بك مغضبًا مكفهر الوجه لا يقبل اتباع الرسول ﷺ فيما نصحته به، ويقول:بل نتبع ما عليه مشايخنا ورؤساؤنا، وكأن هذه الآيات إنما نزلت فيهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَـهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَـهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(٢).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(٣).

لابد إذًا أن نتدارك أنفسنا ونتدارك أهلينا وإخواننا، وأمتنا، قبل أن يحيق بهم عذاب أليم. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤). وقد نزل بالأمة ما حذر منه الله تعالى، وحذر منه النبي ﷺ، فوقعت الفتنة، ونزل بهم العذاب الأليم.

نعم وقعت الفتنة! وأي فتنة أعظم من الاختلاف والتقاطع والتدابر بين طوائف الأمة؟!

---

(١) البقرة: ١٧٠.
(٢) المائدة: ١٠٤.
(٣) لقمان: ٢١.
(٤) النور: ٦٣.

وأي فتنة أعظم من وقوع الشرك في الأمة؟!

معنى الاتباع: هو اتباع الشرع الحنيف، وذلك باتباع كتاب الله تعالى، واقتفاء سنة النبي ﷺ والاقتداء به في جميع أقواله وأفعاله، واتباع أهل العلم العارفين به والمتبعين هدي النبي ﷺ إلى يوم القيامة.

* لمن يكون الاتباع؟

الاتباع يكون للنبي ﷺ فيما جاء به من الكتاب والسنة، ويكون لأصحابه المبلغين لسنته المتبعين لها، أما التابعون من بعد الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم فلا يتبعون إلا فيما وافقوا فيه الدليل من الكتاب والسنة أو اتباع ما كان عليه النبي ﷺ.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير"(١).

* الأدلة على وجوب الاتباع لكتاب الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾(٣).

❁ والأحاديث الدالة على وجوب اتباع النبي ﷺ في كل شيء كثيرة منها:

قوله ﷺ: "كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد"(٤).

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٢/ ١٠).

(٢) القيامة: ١٨.

(٣) محمد: ٣.

(٤) أخرجه بنحوه الدارقطني في "سننه" (٤/ ٢٧).

وقوله ﷺ: "من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد"[١].

أي كل عمل يعمله الإنسان مما يبتغي به وجه الله تعالى، ولا يتبع فيه هدي النبي ﷺ أو يحدث فيه ما لم يكن عليه النبي ﷺ فعمله هذا مردود عليه غير مقبول عند الله تعالى.

*الأدلة على وجوب اتباع أصحاب النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَـهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[٢].

فهذه الآية من أعظم الآيات الدالة على اتباع أصحاب النبي ﷺ حيث أثنى الله تعالى على الذين اتبعوهم بإحسان ورضي عن جميعهم وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم.

*الأدلة على وجوب اتباع أهل العلم:

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

فأوجب الله تعالى علينا سؤال أهل العلم فيما جهلنا حكمه، شريطة أن يكون هؤلاء العلماء حسني السيرة، معروفًا عنهم اتباع النبي ﷺ ولزوم منهجه، وهؤلاء هم الموصوفون بأنهم من أهل العلم الذين يخشون الله تعالى حق خشيته.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ الله عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

---

(١) أخرجه البخاري(٢٦٩٧)، ومسلم(٤/ ٣١٢) ط. الشعب

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) الأنبياء: ٧.

(٤) فاطر: ٢٨.

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾[1].

وأولو الأمر هم:أهل العلم لا محالة، ومن قال:إنهم الأمراء، أو أهل الحل والعقد، فلا يعارض اتباع أهل العلم؛ وذلك لأن الأمراء لا طاعة لهم إذا خالفوا ما أمر به الله ورسوله ﷺ، أو خالفوا ما عليه أهل العلم الثقات.

***ثمرة الاتباع وفوائده:**

الاتباع الصحيح لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ له ثمار عظيمة، وفوائد عميمة أخبر عنها الله تعالى في كتابه منها:

١- محبة الله تعالى للعبد:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

فمن أراد محبة الله تعالى له، فليسارع إلى اتباع حبيبه محمد ﷺ ،فهل هناك ثمرة أو فائدة للاتباع أعظم من محبة الله تعالى؟!

٢- مغفرة الذنوب:

وذلك واضح من الآية السابقة، حيث وعد الله تعالى من يتبع حبيبه ﷺ بجائزتين:

الأولى: محبة الله تعالى، والثانية: مغفرة الذنوب.

٣- الوقاية من عذاب الجحيم.

٤- دخول جنات النعيم.

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) آل عمران: ٣١.

والدليل على هاتين الفائدتين قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

٥- صلاح البال، وقرة العين، والسعادة في الدارين.

وبعد أخي الحبيب!

أختي الحبيبة!

ما أحوجنا إلى اتباع نبينا ﷺ في جميع أمورنا والاقتداء به في جميع فعالنا، ففي ذلك النجاة كل النجاة والمخرج مما نحن فيه من الفتن.

نسأل الله تعالى أن يحشرنا وإياكم مع محمد وصحبه، وتحت لواء صاحب الشفاعة والمقام المحمود، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

❁❁❁

(١) غافر: ٧، ٨